

الوافي في الوفيات

وماست° فشق° الغصن° غيطاً° ثيابَه ... أَلست ترى أوراقه تتناثرُ ؟ .

قال : وزعم أنه لا يؤتى لهما بثالث فأشدتُهُ في الحال : .

وعاجت° فألقى العودُ في النارِ نفسَه ... كذا نقلت° عنه الحديثَ المجامرُ .

وقالت° فغارَ الدُّرُّ° واصفرَّ° لونُه ... كذلك ما زالت° تغارُ الصُّرائرُ .

صاحب مَرّاكش .

علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين . توفي والده سنة خمس مائة فقام بالملك مكانه وتلقَّـبَ بلقبه أمير المسلمين وجرى على سننه في الجهاد وإخافة العدو . وكان حسن السيرة جيد الطويَّة عادلاً نزهاً حتَّى إنَّـه كان يعدُّ من الزهَّاد المتبتِّـلين . وآثر أهل العلم حتَّى إنَّـه لا يقطع أمراً إلَّاـ بمشاورة العلماء أربعةٍ من الفقهاء . ونفقت في زمانه كتب مذهب مالك وطرح ما وراءها حتَّى نسي العلماء النظر في كتب السنن وقرَّر الفقهاء عنده تقبيح علم الكلام وأمر بإحراق كتب الغزالي لمَّا دخلت الغرب . واعتنى بكتَّـاب الإنشاء وكان عنده مثل ابن الجدِّ الأجدب وأبي بكر محمد بن القبطُرنه وابن أبي الخصال وأخيه أبي مروان وعبد المجيد بن عبدون .

وطالت أيامه إلى أن التقى عسكر بلنسية مع العدو فهزموا المسلمين وقتلوا من المرابطين خلقاً كثيراً . واختلَّـت بعدها حاله وظهرت منكراتٌ كثيرة في بلاده واستولى أُمراء المرابطين على البلاد وادَّـعوا الاستبداد وصار كلُّ واحدٍ يجهر بأنَّـه أمير المسلمين وخيرُ من علي بن يوسف بن تاشفين وأنَّـه أولى منه بالأمر . واستولى النساء على الأحوال وكل امرأةٍ من كبار البرابر تشتمل على الفسَّـاق والخمَّـارين واللصوص . وقنع بالاسم والخطبة وعكف على الصوم وقيام الليل . وتوثَّـب عليه ابن تومرت إلى أن ملك البلاد عبد المؤمن .

وتوفَّـي سنة ابن تاشفين سنة سبع وثلاثين وخمس مائة وعهد إلى ابنه تاشفين فعجز عن الموحِّـدين وانزوى إلى مدينة وهران . ولمَّـا اشتدَّـ الحصار خرج راكباً وساق إلى البحر فاقتمه وغرق فيقال إنَّـهم أخرجوه وصلبوه وأحرقوه . ودامت دولة بني تاشفين بمراكش بضعاً وسبعين سنة وانقطعت الدعوة لبني العباس بموت علي .

الأفضل بن صلاح الدين .

علي بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب السلطان الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين . ولد يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمس

مائة بالقاهرة وتوفي فُجاءةً بشميساط سنة اثنتين وعشرين وست مائة وقيل إنَّ مولده سنة ست .

سمع من عبد الله بن برّ النحوي وأبي الطاهر إسماعيل بن عوف الزهري وأجاز له جماعة . وكان أسنَّ إخوته وإليه كانت ولاية العهد ؛ ولمّا مات والده بدمشق كان معه فاستقلَّ بالسلطنة . ثمَّ جرت له ولأخيه العزيز حروبٌ وفتن . ثمَّ إنَّ العزيز وعمّه العادل اتَّفقا على الأفضل وقصداه في دمشق وحارباها وأخذها منه فالتجأ إلى صرخد وأقام بها قليلاً . فمات العزيز بمصر وأقاموا ولده محمَّدًا وهو صبيٌّ فطلبوا له الأفضل ليكون أتاكبه فقدم ومشى في ركاب ابن أخيه . ثمَّ إنَّ العادل عمل على الأفضل وقصد مصر وأخذها منه لأنَّ عساكره كانت مفرَّقةً في الربيع وأعطاه ميّ فارقين وشميساط ؛ فلمَّا توجه إليهما لم يسلم ابن العادل ميّ فارقين ولم يحصل للأفضل غير شميساط فاستنجد بأخيه الظاهر غازي وسار إلى دمشق وأشرفا على أخذها فجرت بينهما منازعةٌ بتدبير العادل آلت إلى الرحيل عنها . فلمَّا توفي الظاهر استنجد الأفضل بكيكاوس السلجوقي سلطان الروم فقصدا الشام دمشق سنة خمس عشرة وست مائة . فلمَّا أخذ الرومي تلَّ باشر ومنبح ولم يعط الأفضل منهما شيئاً انثنى عنه في الباطن . وكان الأشرف مقيماً بحلب لنجدة العزيز فخرج بعساكر حلب إلى لقاء الرومي ووقعت العربان على بعض عساكر الرومي فاستباحوهم قتلاً وأسراً . وعلم الرومي بانثناء الأفضل عنه ومخامرة بعض أمرائه عليه فولى هارباً وتبعه الأشرف يتخطَّف أطراف عسكره واسترجع تل باشر وغيرها للملك العزيز . وبقي الأفضل بشميساط إلى أن توفي يوم الجمعة فُجاءةً بعد أن صلَّى الجمعة خامس عشرين صفر من السنة المذكورة وحمل إلى حلب ودفن بها